

عجز البشر عن أن يأتوا بمثل القرآن

..... عجز البشر عن أن يأتوا بمثله، تحداهم الله تعالى بقوله: {فَلَيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ} فعجزوا، ثم تحداهم بعشر سور في قوله: {فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَاتٍ} عجزوا، ثم تحداهم بسورة: {فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَإِذْ عَوْا شُهَدَاءَ كُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} فعجزوا. أخبر بأنهم لا يقدرون: {فُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسَانُونَ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ إِنَّهُمْ صَادِقِينَ} فعجزوا. أخبر بأنهم لا يقدرون: {لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ} لا يقدرون {وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِيَعْصِمْ طَهِيرًا} أي: مساعدًا ومعاونًا، فصدق الله تعالى أن يأتوا بمثله، هو هذا الكتاب العربي الذي في هذا المصاحف، الذي قال فيه الدين كفروا لما كذبوا: قالوا {لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنَ} فدل على أنهم يريدون هذا القرآن الذي في المصاحف. وقال بعضهم: حكى الله عن الواليد والد خالد بن الواليد أنه قال: {إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُوَزِّرُ إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ} يعني: أنه مفترى، وأنه سحر، فكذبهم الله تعالى وقال: {سَأَضْلِيلِهِ سَقَرَ} أي: على تكذيبه القرآن. ادعوا أنه قول شاعر، ادعوا أنه كاهن، فكذبهم الله، قال تعالى: {وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ فَلِيَأْتِ مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ فَلِيَأْتِ مَا تَذَكَّرُونَ} ونر نبيه بقوله: {وَمَا عَلِمْنَاهُ السُّعْرَ وَمَا يَتَبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ} نفي الله تعالى أنه شعر؛ لأنه لا يشبه الشعر في وزنه وفي قوافيه، ونحو ذلك. أثبت أنه قرآن، فلم يبق شهادة لذى لب أي لذى عقل أن القرآن هو هذا الكتاب الكريم، الكتاب العربي الذي هو كلمات وحروف وآيات، أن هذا هو القرآن، خلافا لما يقوله الأشاعرة: من أن القرآن هو المعنى، أو أن القرآن معنى قائم بذات الله تعالى. وكلمات: إذا قلت مثلا: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَخْرُ} ثلاثة كلمات. وأنه حروف: يعني كل كلمة فيها عدد حروف باسم الله: الباء حرف، والسين حرف، والميم حرف، وهكذا. وأنه آيات تقول مثلا: سورة الكوثر ثلاث آيات، وسورة الملك ثلاثون آية، سورة السجدة ثلاثون آية، سورة الفجر ثلاثون آية، وأشباه ذلك؛ لأن ما ليس كذلك يعني الذي ليس بكلمات مسموعة، وليس فيه حروف، ولا آيات. لا يقول أحد أنه شعر؛ المشركون لما سمعوه، قالوا: إنه شعر. فدل على تكذيبهم، ودل على أنه حروف وآيات، ودل على خطأ الأشاعرة الذين يقولون: إنه المعاني، إن كلام الله هو المعاني، إلا أنه هو الحروف، ثم إن الله تعالى تحداهم في أن يأتوا بسورة، قال تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا تَرَنَّا} على عَبْدِنَا فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَإِذْ عَوْا شُهَدَاءَ كُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ} فعجزوا عن ذلك. لا يجوز أن يتحداهم بالإثبات بشيء لا يدرى ما هو؛ لو كان القرآن هو المعاني التي لا يدرى ما هي ولا تعقل لما قال لهم: {فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ} قال تعالى: {وَإِذَا تُلَى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتْبِعْرَأَنْ عَيْرَهَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لَيْ إِنْ أَبَدَّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِنَفْسِي} {بَعْرَأَنْ عَيْرَهَا} فيدل على أنه لهم يسمعونه، وأنهم يعقلونه، فدل على أنه هذا القرآن الذي يسمع، وأنه هو كلام الله، أما الذين يقولون: إنه المعاني. فإن المعاني غير ظاهرة. كذلك أثبت أن القرآن هو الآيات التي تبني عليهم في قوله: {وَإِذَا تُلَى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيَّنَاتٍ} هذا هو القرآن، وقال تعالى: {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيَّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ} آيات بينات، دل على أنه آيات يعني مكونة من كلمات. كذلك قال تعالى: {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْتُوبٍ} بعد أن أقسام على ذلك بقوله: {فَلَا أَقْسِمُ بِمَقَوْفَعِ النَّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسْمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْتُوبٍ لَا يَقْسُمُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} تَبَرِّيْلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} أقسام على ذلك، فدل على أنه هذا القرآن الذي في المصاحف هو القرآن الكريم، هو الذي لا يمسه إلا المطهرون، وهو الذي تبريل من رب العالمين. وقال تعالى: {كَهِيَعْصِ} وقال: {حَمْ عَسْق} هذه أيضًا من القرآن. هذه الحروف التي في أوائل السور افتتح الله تسعًا وعشرين سورة بالحروف المقطعة؛ يعني: منها: "الـ، المـ، المرـ، الرـ، طـسـ، حـمـ، طـسـ، حـمـ، كـهـيـعـصـ، طـهـ، بـسـ، قـ" ونحوها. هذه تسع وعشرون سورة، كلها مفتحة بحروف مقطعة؛ وذلك دليل على أنها من القرآن.